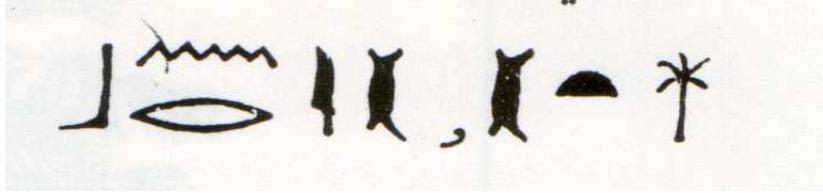


ثانياً - النخيل في حضارة وادي النيل

أ.د. عبد الباسط عودة ابراهيم

شهدت أرض مصر أعظم وأرقى حضارة لا زالت آثارها ومعالمها باقية إلى يومنا هذا تشهد بعظمه المصريين القدماء عبر التاريخ و صدق المؤرخ اليوناني (هيرودت) بقوله إن مصر هبة النيل وعرف الانسان المصري القديم عناصر القوى الشاملة، حيث سعى للاهتمام بالنواحي الاقتصادية في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة واعتمدوا على الزراعة ، واتقنوا شق القنوات ونظموا توزيع مياه الري، اخترعوا المجرفة والمحراث والمنجل للزراعة ، وأهم محاصيلهم الزراعية القمح والشعير والخضار والعنب والنخيل والازهار والكتان .ووجدت إشارات تدل على وجود النخيل في العصور القديمة في وادي النيل ، منها :

(1) في مصر القديمة يسمى نخيل التمر (بئر أو بنرت) ويكتب بالهيروغليفية على النحو الآتي:



- (2) ما عثر عليه الدكتور رين هارت (RienHardt) في مقبرة الزريقات قرب أرمنت، وهو مومياء ملفوفة في حصير من سعف النخيل.
- (3) كانوا يقدسون النخلة في مقابرهم حيث قلدوا هيئة النخلة في مقبرة (رع ور) واستعمل قدماء المصريين جذوع النخيل في سقف مقابرهم كما في مقبرة (رع ور) بالجيزة في عصر الأسرة الرابعة (2720 سنة قبل الميلاد)،
- (4) وفي إحدى مقابر سقارة عثر على نخلة صغيرة كاملة تلف مومياء من عصر الأسرة الأولى (3200 سنة قبل الميلاد).
- (5) ازدانت حدائق الأسرة الرابعة بأشجار نخيل التمر كما في حديقة Methon بسقارة.
- (6) سميت النخلة لدى الفراعنة بالطائر الجميل ويسمى (بنو بيرد Benu Bird) والذي يعني ثمار التمر الشديدة الحلاوة وزينت رسوم وصور هذا الطائر جدران الأماكن المقدسة وقصور الفراعنة والامراء.
- (7) طائر(الفينيكس) هو طائر الفينيق والرّخّ والعنقاء وطائر الرّعد أو النّار أو الرّماد أو الرّمّل يعيش نحو ألف عام بيني عشه من قشور أشجار التوابل فوق أشجار النخيل و يستيقظ كلّ صباح عند شروق الشمس مغرداً أعذب الألحان بصوت جميل ليس له مثيل ويموت هذا الطائر احتراقاً ليخلق من رماده جيل جديد يعيش ألف عام يموت بعدها احتراقاً. جاء اسم هذا الطائر من اسم النخيل باللغة اليونانية القديمة ، أما في مصر القديمة فقد أسموه (حور) وتذكر الأسطورة الفرعونية علاقته مع إله الشّمس (رع)لأنه يذكّر بطلوع الشمس . وتروي هذه الأسطورة أن

الجيل المتجدد من الرماد يأخذ بعضاً من رماد أبيه يغلفه بقشور شجر " المر " ليضعه في مدينة الشمس (هيليوبوليس) . ويربط المصريون القدماء هذا الطائر بنواة التمر (بانو) و يظل هذا الطائر رمزاً للنخيل الذي يرمز للخلود وتجدد الحياة

(8) تدل بعض النقوش في عهد مرنير (Mernere) احد ملوك الاسرة السادسة 2600 عام قبل الميلاد انهم صنعوا نوعا من الخمر من عصارة النخيل اطلقوا عليه شراب الحياة والنخلة التي يستخرج منها العصارة تجف وتموت ثمنا لما تجود به.

(9) استخدم الفراعنة ليف النخيل منذ آلاف السنين في صناعة الشعر المستعار كبطانة داخلية للشعر المستعار (10) يعتبر شمالي السودان من أقدم مواطن زراعة النخيل في العالم، ويرجع تاريخ ذلك إلى 3000 سنة قبل الميلاد. (11) في حضارة النوبة لابد للعريس من زيارة النيل وبرفقة عروسته وأهله وهم ينشدون :

عريسنا سار البحر يا عديلة قطع جرايد النخل الليلة زينه

في الأربعين تأخذ الأم طفلها إلى النيل وبرفقتها بعض النسوة وهن يحملن جريد النخيل فتقوم بغسل وجهها وبديها ورجليها وكذلك وجه وبدي ورجلي طفلها بمائه

❖ العنقريب هو السرير النوبي ، يصنع من الخشب وجريد النخل وشرائح من جلد البقر ولا يستعمل أي نوع من المسامير أو الغراء ولا يدهن الخشب بأى نوع من الدهانات بل يترك على طبيعته أما شرائح جلد البقر فيستعمل بعد بله وإطرائه في الماء حيث تربط به الأرجل والحوامل وكذلك يشد جريد النخل الناشف ، وعندما يجف فإنه يكون في غاية المتانة .

ثالثاً- النخيل في الحضارات الاخرى

❖ النخيل شجرة مقدسة لدى سكان تدمر، وإن كلمة تدمرهي تحريف لـ (تاد - مور) أي بلد النخيل، وإن اسم بالميرا (Palmyra) مشتق من Palma، وكان التدمريين يكرمون ضيوفهم بتقديم التمر إليهم .

❖ تعتبر نخلة التمر من أقدم الأشجار التي عرفها أهل البحرين، ويعود ذلك إلى 4000 سنة قبل الميلاد وبينت دراسة عن تاريخ دلمون في الكتابات السومرية وتلمون في الكتابات الاكدية إلى أن نخلة التمر ارتبطت بتاريخ البحرين منذ القدم وحتى الوقت الحاضر، حيث لعبت دوراً اقتصادياً هاماً وكان تمر مشهوراً في بلاد الرافدين حتى أنهم امتدحوا النخلة في أشعارهم التي كتبت على الرُّم الطينية. وورد في مدونات بلاد الرافدين أن الإله أوتو إله الشمس عمد إلى إخراج الماء العذب من أرض دلمون ثم قام الإله أنكي بإحياء دلمون بمنحها المياه العذبة، واعتقدوا أن الإله أنكي هو الذي خلق النخلة وأوكل إلى إنزك إله دلمون الرئيسي حراسة دلمون والعناية بها.

❖ ظهر إنزك كإله للشمس في الأختام الدلمونية ويرمز له بالغزالة أو كإله النخلة ويرمز له بالنخلة والسعفة ومعنى إنزك (الحو) ويعني النخلة ورطبهاو عبرت الأختام الدلمونية عن أنماط الحياة في دلمون وظهرت النخلة في الأختام بأشكال مختلفة على شكل نخلة كاملة أو فسيلة أو سعفة وهي ترمز إلى الإله إنزك إله النخلة. تتركز عناصر الأختام حول النخلة والعناية بها وتسخير الحيوانات لذلك وكذلك تظهر زراعة الفسائل.

- ❖ تظهر النخلة في دلمون على شكل شجرة كاملة أو على شكل سعفة ووضع الدلمونيين أطراف سعف النخيل والتمر مع موتاهم. والأهمية الاستثنائية لتمور دلمون تم التعبير عنها بطريقة بليغة في نص ديني من العهود المتأخرة يمدح بابل (ان بابل نخلة دلمونية وهي ذات ثمار حلوة).
- ❖ في النص المعروف باسم انكي(Enki) ونظام العالم ان الاله السومري انكي قد طهر ارض دلمون ونقاها ووهب نخيل التمر لحقولها واحل اكل تمورها. وفي عمل اخر نقرأ (دلمون مسكنها انعم به من مسكن شعيرها سيكون شعيرا طيبا وتمورها ستكون تمور كبيرة وحصادها سيكون ثلاثة اضعاف)
- ❖ في المصادر المسمارية اشارات الى نخيل دلمون والى صنف من التمور هو تمور دلمون وهي تظهر في النصوص الدينية بوصفها قرابين و طعام يتم تناولها في مناسبات معينة ففي نص ديني من العهود المتأخرة (ان بابل نخله دلمونية وهي ذات ثمار حلوة) وتظهر في النصوص الطبية حيث تدخل في صناعة المراهم والادوية.
- ❖ في المصادر المكتوبة للحضارات السومرية والبابلية والاشورية كان الجزء الشرقي من الجزيرة العربية (سلطنة عمان ودولة الامارات العربية حاليا) يعرف باسم مجان Magan (في اللغة السومرية) او مكان Makkan (في اللغة الاكدية) وورد في قائمة مصطلحات حضارة بلاد الرافدين القديمة الخاصة بالأشجار شجرة نخيل ماجان (gishimmar-ma-gan-na) وهناك ما يدل على ذلك من خلال اللقى الاثرية في تل ابرق والتي تعود للعصر الحديدي (1300-300) قبل الميلاد حيث لوحظ على قلادة صغيرة تبدو في شكل نواة التمر مع نقش لشجرة النخيل في احد جوانبها.
- ❖ الكتابات المسمارية في بلاد ما بين النهرين اشارت الى رحيق التمر المجمع في المدبسه ويسمى ايضا دهن التمور وهو مادة لزجة كانت تحفظ في سلال وليس في جرار وهذا ما وجد في البحرين سلال مصنوعة من سعف النخيل ومغطاة بالقار لمن التسرب منها.
- ❖ في مستوطنة سار الواقعة على بعد 6 كم من قلعة البحرين وجدت أدلة على استهلاك التمور تمثلت على هيئة 30 نواة و300 شظية من الفحم النباتي لنخيل التمر .
- ❖ ذكر هيرودوتس المؤرخ الشهير (500) سنة قبل الميلاد ان نخيل التمر ينتج ثمار طيبة وله استخدامات عديدة للسعف والخوص والجذع. وعن تلقيح النخيل بين قيام السكان المحليون بربط ثمار النخيل المذكورة كما يطلق عليها الإغريقون إلى أغصان الشجرة الأنثى للسماح ل gall-fly بالدخول في تمورها وإنضاجها وبعد عدة قرون لاحظ ثيوفراستس ان بعضها ذكري وبعضها انثوي.
- ❖ روى الكاتب الاغريقي (ارثيميدوروس) قصة رجل يعاني من مرض في المعدة وطلب من اله العلاج (اسكليبيوس)منحه وصفة علاجية وحلم الرجل ليلتها انه بعد دخوله معبد(اسكليبيوس) امسك الاله اصابع يده اليمنى وقدمها له ليأكلها وبعد ان افاق الرجل المريض من نومه تناول خمس تمرات فشفي تماما.
- ❖ كانت الاستخدامات المتعددة لمنتجات شجرة النخيل الثانوية معروفة لدى الاغريقي سترابو(64 قبل الميلاد-25 ميلادي) الذي ذكر في كتابه (جيوغرافيك) عن سكان بابل ان دعائم منازلهم كانت من خشب النخيل ويلفون الحبال المصنوعة من القصب حول الاعمدة ثم يكسونها بالجص ويطولونها بالألوان وان هذه الشجرة تنتج الخبز والنبيد والخل والعسل والوجبة الغذائية وجميع المواد المنسوجة ويستخدم حداد البرونز نوى التمر كوقود بدل الفحم النباتي وحينما يتم غمر النوى بالماء فإنها تستخدم كطعام للثيران والخراف لتسمينها.

- ❖ اشار سترابو الى نص فارسي يحمل عنوان الشجرة البابلية وهو حوار بين النخلة والماعز في بلاد اشور نمت شجرة... جذعها جاف واكليلها رطب ورقنتها لا تشبه القصب وثمرتها كالعنب تحمل ثمارا حلوة للناس. وكان الحوار التالي:
النخلة تقول للمعزة (انا اسمى منك منزلة في عدة اشياء وفي بلاد خوا نيره لا توجد شجرة تضاهي بنيتي لان الملك يؤكل من ثماري الجديدة التي انتجها...الواح السفن مني وكذلك صاري الابحار ومني تصنع المكناس التي تنظف البيوت...ومني يصنع الهاون الذي يهرس الشعير والارز والمرواح التي تساعد في اشعال النار.... واحذية المزارعين ونعال الحافي القدمين والحبال التي تصفد بها حوافرك.
والعصي التي تضرب بها عنقك والمشاجب التي يتم تعليقك بها راسا على عقب انني وقود للنيران التي تشويك
وظل في الصيف بقي الحكام حر الهجير انني حليب المزارعين وعسل النبلاء ومني تصنع الصناديق للأدوية تحمل من منطقة لأخرى ومن طبيب لآخر
انني عش امان لصغار الطير وظل للتائهين
وارمي النوى فتنمو خيرا ورزقا وفيرا وستظل قمتي خضراء الى ابد الابد
ويأتي المحتاجون للخبز والخبز ليأكلوا من ثماري حتى التخمة فأقول هل من مزيد.
- ❖ بين بليبي في كتابه (التاريخ الطبيعي) تعرض جنود الاسكندر الى الاختناق من جراء تناول الثمار الخضراء للتمر وحدث هذا في بلاد جروسيا (مكران) بسبب نوعية الثمار. وأشار الى الخمر الذي يصنع من التمور اللينة التي يطلق عليها الاغريق اسم التمور العامة حيث تغمر كمية منها في غالونين وربع من الماء وضغطها بعد ذلك .
- ❖ مدينة اريحا كانت تدعى سابقا مدينة النخل.
- ❖ عاش الفينيقيون بين البحر الابيض المتوسط ووادي الاردن خلال القرن الثالث قبل الميلاد وكان لونهم المفضل هو اللون الارجواني ويدعى فينكس والذي اطلق على ثمار نخلة التمر لان بعض ثمارها ارجوانية اللون عند نضجها.
- ❖ الفينيقيون كانوا يعبدون عشتروت على شكل نخلة تسمى في التوراة (اشميرا) اي السارية.
- ❖ صنع الرومان الشعر المستعار من ليف النخيل

❖ نخيل العقبة

- العقبة قرية صغيرة تغفو على شاطئ البحر الأحمر منذ ثلاثة آلاف عام، عُرف النخيل مصدرا لصناعة بسطها وسلالها، و شجرة النخيل توأم مدينة العقبة التي ولدت معها، فهي من أقدم شجر المدينة، وواحدة من معالم تراثها و رأسمال اقتصاد سكانها تعود علاقة أهل العقبة وارتباطهم بالنخل وزراعته إلى عهود سحيقة، منذ ثلاثة آلاف عام تقريبا، حسب المؤرخين والباحثين، حيث كشفت الحفريات الأثرية في(تل الخليفي)غرب المدينة عن وجود أجزاء من حبال مصنوعة من نسيج النخيل تدل على استخدامها في صناعة قوارب الصيد، وبعد انتقال المدينة من موقعها في الغرب إلى الشرق(موقعها الحالي)نقل أهالي العقبة نخيلهم معهم وقاموا بزراعته على الشاطئ الشرقي من ساحل البحر.

- إن (النخلة تحتل مكانا مميزا في تراث أهل المدينة، فهي الشجرة التي يستطيبون ثمرها ومنها يصنعون بسطهم، وهي طعام وفاكهة البر بالنسبة لهم، ترفد ما يجود به بحرهم وماؤهم). وهي جزء من حياتهم ،و لم يكتفوا بزراعتها في بساتينهم، التي كانوا يسمونها (الحفيرة)، بل زرعوها في وسط بيوتهم. وأطلقوا عليها أفضل أسماء النساء، فنادوها بليلي، وصبحة، وزهرة، وسلمى .
- لم تكن النخلة مجرد زينة في البيت ، والشوارع بل احتلت مكانا في المنزل لا توجد زاوية إلا وفيها النخلة أو بعضها منها ، فهي ظل البدوي قديما في ترحاله، ورطبه الجنية في إقامته، وهي المتاع والأثاث والرياش، فمن سعفها صنع سلال طعامه، وأدوات صيده، ومتاعه، ومن سعفها بنى بيته وعريشه .
- ينتظر مزارع العقبة التمر من النخلة كما ينتظر المولود، فإذا ما بدت الثمار بالظهور أسرع إليها فقلما ولقحها بالطلع واعتنى بها حتى ينضج ثمرها، ويتحول موسم جني التمر في الصيف إلى عيد وعرس فولكلوري، حيث يعد أهالي العقبة العدة لهذا اليوم ويتجهزون له قبل أيام من قدومه، وإذا ما أشرقت شمس ذلك اليوم خرج الجميع إلى حفائهم واصطحبوا النساء والأولاد والطعام والسلال، فيتسلق الرجال النخيل وتتشغل النساء بإعداد الطعام ويتراكم الأطفال في الحقول فرحين بهذا العيد، وبعد قطف التمر يتم تجميعه على الحصر، ثم فرز حبه حسب نوعه وحالته وبعد ذلك يتم تقسيمه على الورثة والشركاء حسب التقاليد المتعارف عليها، وبعد تقسيم التمر يحمل كل واحد نصيبه في سلاله ثم يتفقد جيرانه وأصدقاءه وأقرباءه ممن لا يملكون نخيلا فيدفع إليهم جزءا من نصيبه ثم يتهادون ويتبادلون التمر بينهم، وقد يستمر موسم القطف عدة أيام
- لم يكن موسم القطف هذا يقتصر على (أهل العقبة) فقط بل كان يتعداهم إلى جيرانهم من أهل البادية، فهم شركاء أهالي العقبة في النخل، وفي موسم القطف يتوافد البدو من الصحارى والبوادي المجاورة فيجتمعون في العقبة ويضربون خيامهم وسط المدينة في (سيح أبو سلامة) وهي ساحة وسط النخيل والمنازل، ويوقدون الضيوف نيرانهم ويجتمع أهالي العقبة معهم ويستضيفونهم لعدة أيام، يحيون خلالها ليالي الصيف بالرقص والغناء والسامر والدحية والرفيحي والعزف على الربابة والسسمية فيتحول موسم قطف التمر إلى عرس فلكلوري رائع.
- يمثل موسم جني التمر مناسبة لأهل العقبة وجيرانهم، للتجارة والبيع، يأتي البدوي بسمنه وماشيته وصوفه فيبيعها لأهالي العقبة ويشترى بأثمانها القماش والأرز والطحين وغيره، كما كانت تعقد في هذا الموسم التقليدي الصفقات التجارية فيفك الراهن رهنه ويبيع البدوي جزءا من بضاعته. وفي الموسم تبرم العهود، وتوثق، وتعد جلسات الصلح وتسوى الخلافات وتطيب الخواطر، وبعد قطف البلح يتقاسم الشركاء نصيبهم حسب ما يتفقون عليه فيحمل البدوي تمره ويطوي خيمته ويطفي ناره وينطلق عائدا إلى مضاربه منهيًا بذلك هذا العرس الفلكلوري الجميل، على أمل العودة في العام التالي.